ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Professions in the Poetry of Ibn Hazm al-Andalusi (456 AH)

Muntaha Mushrif Alawi

Tikrit University/ College of Arts

* *Corresponding author: E-mail* :
Muntaha.oleiwi122@tu.edu.iq

Keywords:
professions,
praise,
satire,
description

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	6 Feb 2026
Received in revised form	22 Mar 2026
Accepted	24 Mar 2026
Final Proofreading	31 May 2026
Available online	31 May 2026

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

Andalusian poetry served as a vivid reflection of daily life in Andalusia. Poets were not averse to describing the details of the society in which they lived, including the professions and crafts they practiced. These professions formed an integral part of the economic, social, and cultural reality in Andalusia, prompting a number of poets to address them in their poems, whether through praise, pride, or description within the framework of social critique. The Arab poet in general, and the Andalusian poet in particular, was able to combine these roles. The poet was also the judge, the blacksmith, the farmer, the teacher, the carpenter. The research is divided into an introduction that defines the concept of professions linguistically and technically, and three sections. The first section sheds light on the social professions. The second is concerned with the economic professions. The third handles the political professions. The last part of the study is the conclusion which includes the most important results of the research.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.33.5.2026.4

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for

المِهن في شعر ابن حزم الأندلسي (٤٥٦هـ)

منتهى مشرف عليوي / جامعة تكريت / كلية الآداب

الخلاصة:

مثل الشعر الأندلسي انعكاسا حياً للحياة اليومية في الأندلس، ولم يكن الشعراء بمنأى عن وصف تفاصيل المجتمع الذي عاشوا فيه، بما في ذلك المِهن والحرف التي كانوا يحترفونها ،وقد شكلت المِهن في الأندلس جزءاً من الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ،الأمر الذي دفع عدداً من الشعراء إلى تناولها في قصائدهم ،إما على سبيل المدح أو الفخر أو الوصف في إطار النقد الاجتماعي، وقد استطاع الشاعر العربي بشكل عام والأندلسي بشكل خاص أن يجمع بين الأثنين معاً، فالشاعر هو نفسه القاضي والحداد والمزارع والمعلم والنجار والطبيب، وقد أولى الشعراء الأندلسيون اهتماما بالغاً بتصوير المهن والحرف

المختلفة، ليس فقط من باب الوصف الواقعي بل لتضمينها دلالات رمزية وفنية تخدم أغراضاً شعرية متنوعة ،وتكشف عن نظرة المجتمع وتقديره لهذه المهن وأصحابها، وقام البحث على مقدمة يحدد فيها مفهوم المهن لغة واصطلاحاً وثلاث مباحث تمثل الأول في: المهن الاجتماعية، والثاني: في المهن الاقتصادية ،والثالث :المهن السياسية ،ثم الخاتمة وأهم ما توصل اليه البحث من نتائج.

الكلمات المفتاحية : المهن، الطب ،الصيد ،الحاجب، التاجر

المقدمة :

أولاً : المِهن لغةً واصطلاحاً

المِهن هي "العمل باليد" (تاج العروس من جواهر القاموس:٣٦٤/٢١) وهي غالباً ما تكون "الحذاقة بالعمل أو إنها حركة يتعاطاها الإنسان بلا خفر ولا استكراه" (تخريج الدلالات،الخزاعي:٧٧٦)وذكر عن الأصمعي قوله وقد مهن يمهن مهنا أي عمل بالخدمة في صنعته وكذلك مهنتهم يمهَنهَم ويمِهنهَم مهنا ومهنة أي خدمهم وأمتهن نفسهُ أي أبتذلها وصاحب الدنيا عُبيد ممتهن أي مُستخدم (ينظر: لسان العرب ابن منظور:٥٤٤) وعنها يقول ابن المسيب "السهل يوطأ ويمتهن أي يداس ويبتذل من المهنة الخدمة" (شرح سنن أبي داوود:٥٣/٩) اما المِهن اصطلاحاً فهي "مجموعة من الأعمال تتطلب مهارات معينة يؤديها الفرد من خلال ممارسات تدريبية وقد يتسع مدلول الكلمة ليشمل كل أوجه النشاط الإنساني،أو يضيق ليدل على من يقوم بعمل يدوي ويحتاج الى مهارة يدوية" (ادب الصناع وأرباب الحرف حتى القرن العاشر الهجري،ط١،دار الفكر-بيروت،١٩٩٣م:٣٨) وقد "تقترب الدلالة اللغوية والاصطلاحية للمهنة من الحرفة لأنهما تُستعملان لمعنى واحد هو تأدية الخدمة أو العمل وهي الطعمة والصنعة التي يرتزق منها وهي جهة الكسب" (تاج العروس من جواهر القاموس،الزبيدي:١٣٥/١٢) وكل مهنة امتهنها الانسان او شغلة أشتغل بها، فهي عند العرب تُسمى صناعة وحرفة ،فيقول صنعة فلان أن يفعل كذا وصنعة فلان أن يعمل كذا (ينظر: تاج العروس:١٣٥/١٢) .

ثانياً: التعريف بالشاعر

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي(٣٨٤-٤٥٦هـ) يعد من أكبر علماء الأندلس وأكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفًا بعد الطبري، وهو إمام حافظ فقيه ظاهري، ومجدد القول به، بل محيي المذهب بعد زواله في الشرق ،ومتكلم وأديب وشاعر ونسّابة وعالم برجال الحديث وناقد محلل بل وصفه البعض بالفيلسوف وهو أول من قال بكروية الأرض، كما كان وزير سياسي لبني أمية، سلك طريق نبذ التقليد وتحرير الأتباع، فزهد وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، بعيداً عن المصانعة، وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء، فقامت عليه جماعة من المالكية وشرُد عن وطنه، توفي

لاحقاً في منزله في أرض أبويه في (مونتي خار) وهي عزبة قريبة من ولبة (ينظر: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة،ابي الحسن الشنتريني،ت احسان عباس،دار الثقافة-بيروت،ط١ ،١٩٧٩م :ق١/١/١٦٨).
رووا عن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو ٤٠٠ مجلد، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة، وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان (ينظر:وفيات الأعيان وأنباء الزمان،ابن خالكان،ت احسان عباس،دار الثقافة-بيروت،١٩٧٢م :١٦٩/١) .اما طبيعة ابن حزم فهي طبيعية صريحة جريئة، تقول ما تعتقد وتعبر عما تحس ولا تعرف نفاقاً ولا التواءً أو خوفاً من الناقدين (ينظر: الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة،احمد هيكل،دار المعارف-القاهرة،ط٨ ،١٩٨٢م :٣٩٥) وكان زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه قبله في الوزارة (ينظر:جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس،الحميدي، ابراهيم الأيباري،دار الكتاب اللبناني-بيروت،ط٢ ،١٩٨٣م :٤٩٠/٢).
اما شعره فأغلبه قطع وأبيات وهي من الناحية الفنية تكون بين الجودة والتوسط، ولغته تنعكس عليها في بعض الاحيان في ثقافته العقلية والدينية وهو ما يحدث في لغته النثرية(ينظر:الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط غرناطة،احمد هيكل،دار المعارف-القاهرة،ط٨ ،١٩٨٢م :٤٠٠) ويقول الدكتور احسان عباس في كتابه عن مصادر شعر ابن حزم (لم يصلنا منه إلا قطعة صغيرة وإلا أشعاره في الطوق وبعض متفرقات منه في شرح الشريشي على المقامات وفي الغيث المسجم للصفدي)(تاريخ الادب الاندلسيي عصر سيادة قرطبة،احسان عباس،دلر الثقافة-بيروت،ط ١ ،١٩٦٠م :٢٦٠).

المبحث الأول: المهن الاجتماعية

أولاً :مهنة الطب

كان الطب في الاندلس علماً متقدماً ساهم فيه الاطباء العرب والمسلمون بتطوير المستشفيات، وتأسيس منهج علمي متكامل في الوقاية والعلاج ،كما تميز هذا العصر بتطورات كبيرة في مجالات الجراحة والصيلة والطب النفسي والتغذية، بالإضافة الى إنشاء مستشفيات ،وظهر العديد من الشعراء الوشاحين والزجالين من عرفوا بهذه المهنة (ينظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة محمد بن محمد بن عبدالملك الانصاري، تح احسان عباس ومحمد بن شريفة،ط١ ،دار الثقافة-بيروت ،ط١، ١٩٧٣م :٣٩٩/٦) ونتيجة للتطور الذي حدث في جميع العلوم في الاندلس فقد حدث تطور لعلم الطب ايضاً نتيجة للعوامل السياسية المحيطة من رعاية الدول للعلماء وتأسيسها للمكتبات التي احتوت على كل الكتابات الطبية في المشرق والمغرب(إسهام العلماء المسلمين في العلوم في الاندلس-عصر ملوك الطوائف،سهى بعيون، دار المعرفة للطباعة والنشر-بيروت،ط١ ،٢٠٠٨ :٣٧٦) ، وشعراء العصر الاندلسي تناولوا شعر المهن من وجهات نظر مختلفة بحسب ما اقتضاه الموقف الذي حصل لدى الشاعر ،وكان الشاعر الاندلسي شغوفاً بكل ما يدور حوله من مهن وقد ذكر مهنة الطب في العديد من اشعاره ومنهم ابن حزم

فيقول (الديوان ١١. ديوان ابن حزم الاندلسي،جمع وتحقيق عبد العزيز إبراهيم،دار صادر–بيروت،ط١ ،٢٠١٠ م:٣٤):

ألــم يخاليــني جــلاء مجـرب على أنه حقاً بي العالم الطب

أعيذك إن ترتاب في أني الذي أتى سابقاً والكل ينحر أو يحبو

يستهل الشاعر قصيدته بحرف الاستفهام الهمزة(ألم) عندما يذكر صورة للطبيب العارف الذي اكتسب خبرته من خلال التجربة والممارسة، وهو اسلوب متسلسل بعرض الاحداث التي مر بها الشاعر من خلال تجربته والحالة المرضية التي ألمت به، وهو ماينسجم مع روح العصرالأندلسي الذي ازدهرت فيه العلوم الطبية متأثرة بالتراث اليوناني والعربي، ومؤسسة على الملاحظة والتجريب وبقوله (جلاء مجرب) يعبر فيه عن وضوح المعرفة الطبية ورسوخها وكأن الطب نور يزيل الغموض عن العلل والأسقام، ثم يتجلى البعد التنافسي والريادي لمهنة الطب في البيت الثاني ،إذ يصور الشاعر نفسه سابقاً لأقرانه في العلم ،بينما لايزال غيره في طور التعلم أو العجز عن الإحاطة بأسراره، فيستعمل هنا صورة بلاغية تقوم على المقابلة بين(السبق والحبو) للدلالة على التفاوت الكبير في درجات المعرفة الطبية مما يعكس مكانة الطبيب الماهر في المجتمع الأندلسي، حيث كان يُنظر إليه باعتباره صاحب فضل وعلم نافع، ومن الناحية الفنية يوظف ابن حزم أسلوب الفخر العلمي وهو فخر مشروع في سياق عصرٍ كانت فيه العلوم ومنها مهنة الطب، معياراً للتقدم والرقي الاجتماعي، كما يظهر تأثره بالنزعة العقلية التي تميز بها فكره ،إذ يربط قيمة الأنسان بعلمه وخبرته لا بنسبه أو مكانته الاجتماعية فالتجربة العملية هي المقياس الحقيقي لكفاءة الطبيب، وليس مجرد الكلام النظري ،وقال(الديوان:٧٩).

كيف اهتدى الوجد إلى غائبٍ عن أعين الحاضر والبادي

مـل مداواتــي طبيبـــي فقـــد يرحمنــي للسقـم حسّــادي

يوظف الشاعر صورة الطبيب والدواء معبراً عن تجربة إنسانية عميقة،إذ يصبح الوجد مرضاً يعجز الطب عن علاجه، فيكشف بذلك عن رؤية أندلسية ناضجة ترى أن المهنة الطبية رغم عظمتها لا تحيط بكل أبعاد الألم الإنساني فيفتتح الشاعر البيت الأول ب(كيف)وهي أداة استفهام تعجبية ،ليعبر عن ألمه النفسي كقوة فاعلة قادرة على إدراك ما تعجز عنه الحواس الظاهرة،فالمرض هنا باطني نفسي لا يستطيع أن يراه الطبيب أو تُشخصة أدواته التشخيصية المادية، مؤكد ذلك بقوله"عن أعين الحاضر والبادي" فهذا الوجع خفي عن الجميع، بعيدهم وقريبهم مما يبرز محدودية الطب الجسدي أمام أمراض النفس والعاطفة، وهو إدراك عميق سبق به الفكر الأندلسي بعض التصورات الحديثة عن الفرق بين العلل الجسدية والنفسية،ثم تظهر صورة الطبيب الاندلسي المجتهد،الذي يعتمد على العلم والتجربة لكنه يعجز أمام داءٍ لا دواء مادي له،فالملل هنا ليس تقصيراً،بل إقرار بحدود المعرفة الطبية.

فيعكس لنا الشاعر هنا وعي العصر الأندلسي بأن الطب يبرع في معالجة الأبدان لكنه يقف عاجزاً أمام أمراض القلوب والأرواح،لكن الشاعر رغم ذلك الألم ألا أنه لايرجو الشفاء من الطبيب بل من شفقة

الحاسدين أنفسهم،في تصوير بالغ للأسى واليأس من العلاج،وهذا يبرز العلاج الإنساني والأخلاقي للمهنة الطبية: فالطبيب مهما بلغ عمله لايستطيع شفاء كل داء، ولاسيما إذا كان المرض معنوياً مرتبطاً بالحرمان العاطفي،وان ألأعراض الناجمة من المحبة ،هي غيرها التي تأتي من العلل و ويعرفها الطبيب الحاذق والمتمرس الناقد في مهنته.

يعكس البيتان تصور ابن حزم للطب في الأندلس بوصفه علماً عقلانياً قائماً على الحس والتجربة،وهو مهنة ذات حدود معرفية واضحة لاتستطيع معالجة الوجد والحب اللذان يُعدان أمراضاً نفسية روحية لاتعالجه جميع العقاقير الطبية، ويؤكد ابن جزم ذلك بقوله(الديوان:٩٩):

وذي علة أعيا الطبيب علاجها ستوردني لا شك منهل مصرعي

رضيت بأن أضحى قتيل وداده كجارع سم في رحيق مشعشع

يعرض الشاعر هنا صورة مركبة للمرض تجمع بين العلة الجسدية المكنونة والعلة الوجدانية الظاهرة بقوله(أعيا الطبيب) كناية عن العجز العلمي أمام المرض النفسي ،ليصرح بعجز الطبيب عن معالجة العلة التي هو فيها، ليؤكد ان دائه تجاوز ألألم وسيؤدي به الى الهلاك، وهو راضٍ بأن يضحى قتيل وداده وهو يدل على الوعي بطبيعة الداء الذي لا يُشفى منه بعلاج طبي(كجارع سم في رحيق مشعشع) وهنا تشبيه بالغ يجمع بين السم(الذي هو رمز الهلاك) والرحيق المشعشع(الذي يرمز للذة والجمال) ليجسد لنا ازدواجية الحب بوصفه لذة قاتلة، وجاءت القافية مكسورة مع حركة المد في الألف والياء لتنسجم مع نبرة الانكسار والاستسلام، ليتعزز مع الإيقاع النفسي لأبيات الشاعر ،وقال(الديوان:١١٦):

يقول لي الطبيب بغير علم تداو فأنت يا هذا عليل

ودائي ليس يدريه لسوائي ورب قادر ملـك جليـل

هنا يرفض الشاعر الطبيب الذي يفتقد الأساس العلمي بقوله(بغير علم)وهو خبر إنكاري يحمل نبرة اعتراض من قبل الشاعر للطبيب المعالج فيقول(ياهذا) وهو يعكس تهكم الشاعر، مما يدل على وعي أندلسي بأهمية التخصص والمعرفة الدقيقة لعلم الطب وممارسة مهنة الطب ،وينتقد الطب القائم على التخمين والظن وليس على التجربة بقوله(تداو فأنت ياهذا عليل) فهو حكم عام سطحي غير قائم على معرفة، (ودائي ليس يدريه لسوائي) هنا قصر لتأكيد خصوصية الداء ،فهو حامل لمرض لا يعرفه إلا من أبتلى به ،ثم ينتقل بخطابه من حدود الطب الى أوسع افق وهو أفق القدرة الربانية في شفاء كل عليل، فهو القادر على كل شيء والشفاء بيد الله لا بيد الطبيب، وبهذا يجمع الشاعر بين العقل والعقيدة ،وهو ما ينسجم مع الفكر الأندلسي، فيلجأ الشاعر الى الوضوح في المعاني والألفاظ انسجاما مع طبيعة الموضوع والإيقاع الهادئ مع القافية الموحدة التي تنسجم مع التأمل الفكري والبعد الفلسفي للنص ،وتعكس الابيات رؤية ابن حزم لمهنة الطب، بوصفه مفكراً أندلسياً على انه علم يقوم على التجربة العقلية، وهو مهنة سامية ذات حدود واضحة غير قادرة على معالجة أمراض الوجدان، وهي علماً يقوم على المعرفة والضوابط الأخلاقية والعلمية التي تخضع لمشيئة الله سبحانه وتعالى .

ثانياً: مهنة المعلم

احتلّ المعلّم منزلة رفيعة في المجتمع الأندلسي، إذ كان محورًا أساسيًا في بناء الثقافة ونقل المعارف وصيانة اللغة والعلوم، ولا سيما في ظلّ ازدهار الحضارة الأندلسية واتساع مؤسسات التعليم من كتاتيب ومدارس ومساجد وجامعات، وقد انعكس هذا الدور الحضاري في الشعر الأندلسي، الذي لم يغفل عن تصوير المعلّم بوصفه رمزًا للعلم والحكمة، وأحيانًا بوصفه إنسانًا يعاني ضيق العيش وقسوة الواقع فتنوعت صور المعلم في الشعر الاندلسي بين التعظيم والشكوى ،وقد انتشر العلم في الاندلس انتشاراً واسعاً افتقرت اليه البلدان المجاورة والمعاصرة ،إذ حصل تطور بالمؤلفات والأصول الضخمة التي وصلنا البعض منها والقسم الكبير منها مازال مخطوطاً(ينظر:التاريخ الأندلسي،عبد الرحمن علي الحجي،دار القلم–دمشق،ط٥ ،١٩٩٧ :٤١١–٤١٢) ،وتجلى هذا التطور بأشكال عدة، فظهر"الشعر التعليمي" الذي هدف لتيسير العلوم العربية بأسلوب شعري مبسط، كما انتشرت المجالس العلمية وقد كان للمجالس العلمية دور مهم في تطوير الحركة العلمية والتعليمية، وفي الارتقاء بالمستوى العلمي لفقهاء الاندلس، وفي إثارة الحماسة بين الأدباء والشعراء (ينظر: تاريخ التعليم في الاندلس، محمد عبد الحميد عيسى، دار الفكر العربي– القاهرة،ط١ ،١٩٨٢م :٤٧٤)

فعكس بذلك الشعر الأندلسي أيضًا دور المعلمين في الحياة العامة، واحتفى بالبيئة العلمية والثقافية للأندلس، مع ظهور أنواع شعرية جديدة كالموشحات والأراجيز التي ارتبطت بالموسيقى والغناء وساهمت فيها المرأة أيضًا، مما يدل على ازدهار المنظومة التعليمية والثقافية الأندلسية ،فأصبح للمعلم مكانة عكسها الشعر الأندلسي ليبين مكانته ودوره الفعال في المجتمع، حيث كان يُنظر إليه كمرشد ومثقف، وكان له دور في بناء الشخصية وتوجيهها، ولم ابن حزم شاعراً فقط وإنما كان عالماً موسوعياً في الفقه والحديث والأدب والمنطق، وقد انعكست هذه المكانة العلمية في شعره فأتخذ من العلم رسالةً وغايةً عليا لا وسيلةً تكسب أو وجاهة ،بل واجب أخلاقياً وحضارياً، فيقول ابن حزم في ذلك وهو يتمنى ان يكون معلماً(الديوان:٧٩) :

مناي من الدنيا علـــوم أبثها وأنشرها فـي كـل بـادٍ وحاضـر
دعاء إلى القرآن والسنن التي تناسى رجال ذكرها في المحاضر

يفتتح الشاعر النص بأن أمنيته من الدنيا ليست المال ولا السلطة وإنما هي ان يكون معلماً وينشر العلم في كل مكان ويجسده بقوله (في كل باد وحاضر) اي في كل زمان ومكان ،فيربط الشاعر العلم بالقران والسنة النبوية، فالعالم هو داعي ومصلح ،ويذكر ان بعض علماء عصره قد قصروا في التذكير بالأصول ،مما يبرز احساس ابن حزم بالمسؤولية العلمية ،فيجعل من العلم نور ورسالة تنتقل بين العالم لتتحول المعرفة من شأن فردي الى مشروع حضاري جماعي.

المبحث الثاني: المهن الاقتصادية

اولاً : الصّيد

الصيد من المهن التي مارستها المجتمعات البدائية وغير البدائية ومارس الانسان الصيد باحثا عن قوته و مدافعا عن نفسه او ناشدا الرياضة والمتعة ويعيش أفراده عليه احياناً ويطبع حياته بطابعه، وقد مر الصيد وتقاليده بمراحل عدة وتطورات إلى أن اصبح تقليدا اجتماعيا رفيعا، يقوم به الأشراف والسادة , ومهنة الصيد يمتهنها بعض الناس ليكسبوا قوتهم منها ،وهي من وسائل ابتغاءالرزق والسعي الى تحصيله وقد" اعتمد الانسان صيد الحيوان الاعجم ،فاغتذوا بلحمه واستغلوا شحمه في الاضاءة ،وعظمه في التدفئة، واتخذوا جلده سترا، ومن وبره وشعره وصوفه ملابس يلجئون اليها اتقاء الحر والبرد" (الصيد والطرد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري: ٢٩) ،وهذا بشكل عام عن مهنة الصيد أما التغيير الذي حل بهذه المهنة ولا يكاد يخرج عن أن الغاية منه كانت للنشاط والتسلية ولاسيما عند للطبقة العليا من المجتمع ،لأن حياة الترف التي عاشها الناس في هذا العصر جعلتهم مختلفين عن العصور السابقة ،ولا بد من الاشارة إلى أن تقاليد الصيد والأدوات ظلت متبعة بالطريقة نفسها على مر العصور القديمة "وقال أرسطو طاليس: أول الصناعات الضرورية الصيد ثم البناء ثم الفلاحة، وذلك لو أن رجلاً سقط إلى بلدة ليس بها أنيس ولا زرع لم تكن له همة إلا حفظ جسمه ونفسه بالغذاء الذي به قوامه، فليس يفكر إلا فيما يصيده، فإذا صاد واغتذى فليس يفكر بعد ذلك إلا فيما يستظل به ويستكن فيه وهو البناء، فإذا تم له فكر حينئذ فيما يزرعه ويغرسه"(شعر الصيد والطرد في الموصل , أرجوزة عثمان بكتاش الموصلي (ت ١٢٢٢هـ) أموذجا , أ.م.د. أحمد حسين محمد , دراسات موصلية , العدد ٤٢, ذو الحجة ١٤٣٤هـ / تشرين الأول ٢٠١٣م).

وعلى هذا يمكن القول أن للصيد دوراً كبيراً في حياة الأمة العربية عبر العصور لأنه ضرب من ضروب الرزق ومتعة من متع النفس ولون من ألوان تعلم فنون الحرب أيام السلم(البيزرة، بازيار العزيز بالله الفاطمي ابي عبد الله الحسن بن الحسين: نظر فيه وعلق عليه: محمد كرد علي , الناشر, دار صادر بيروت : ٥) لم يكن الصيد مجرد وسيلة عيش في الأندلس، بل هي مهنة مرتبطة بالفروسية والرجولة النبيلة ،ونرى ذلك واضحاً في أغلب شعراء الأندلس، ويظهر ذلك لنا بوضوح في خطاب ابن حزم الشعري، وفي ذلك يقول ابن حزم في الصيد(الديوان:٤٠):

أقصر عن لهوه وعن ضربه وعـف في حبـه وفـي عربه

فليـس شرب المـدام همتـه ولا اقتناص الظباء من أربه

يبين الشاعر هنا عدم رغبته بالصيد ،وتحديداً اقتناص الظباء التي كانت من أشهر طرائد الصيد في الاندلس، لما تمتاز به من جمال ورشاقة، فيدل هذا الرفض على موقف فكري وأخلاقي ،فهو يرى في

الصيد تسلية لاغاية، ويقدم بديلاً عنها الأنشغال بالقيم العليا أو بالعلم والعمل ،فيوظف الشاعر أسلوب النفي باستخدام اداة النفي(لا) لتأتي صورة الظباء رمزاً جمالياً مألوفاً في الشعر الاندلسي لكنها هنا استخدمت بأسلوب معاكس للدلالة على الزهد فيها، إذ أعتمد النص على المقابلة بين اللهو والعفة، وبين الصيد وسمو الأخلاق، ليعكس لنا النص اتجاهاً نقدياً في الشعر الأندلسي تجاه مهنة الصيد، فلم تُعد مهنة الصيد رمزاً للفروسية والمتعة، بل غدت علامة للهو الذي يبتعد عنه الأنسان الفاضل ،فالشاعر يفضل الاعتدال وضبط النفس على الانغماس في الترف ،مما يكشف عن تنوع الرؤى تجاه مهنة الصيد داخل حياة الشاعر الأندلسي ،وقال(الديوان:٦٦) .

وأيتها الدار الحبيبة لا يرم ربوعك جون المرن يهمي بها القطرا

كأنك لم يسكنك غيد أوانس وصيد رجالٍ أشبهـوا الأنجـم الزهرا

يخاطب الشاعر هنا الدار مما يدل على عمق الألفة بينهما، يتحول المكان هنا من مسكن الى فضاء للصيد، فالدار تخرج من صمتها حاملة ذاكرة الرجال والصيادين، التي توحي الى الاستقرار والخصب والربوع واستمرار الحياة والنشاط فيها ، وهي شروط الصيد الأساسية في الأندلس، إذ ارتبطت هذه المهنة بالبيئة الغنية والسهول والجبال، كما يجعل الشاعر من الصيد رمز للرجولة والنخبة، فهو ميداناً لإظهار المهارة والشجاعة، فيرفع الصيد من مجرد مهنة الى فعل بطولي بتشبيهه للصيادين بأداة التشبيه (كأن) بالنجوم الزهر مما يدل على رفعة شأنهم ومكانتهم الاجتماعية باعتباره علامة تدل على النبل والانتماء الاجتماعي وهي مهنة لازمها رجال الدولة بكل صنوفهم ،فهو جزء من ثقافة حضارية ومهنة تلتقي فيه الطبيعة والانسان معاً، وقد جاءت الموسيقى الشعرية هنا ممتدة ب(الألف والراء) مما يمنح النص إيقاعاً هادئاً ورقيقاً ينسجم مع نبرة الذكرى والحنين ليعزز البعد الوجداني المرتبط بالمكان ،ويصور ابن حزم مهنة الصيد بوصفها مهنة لها ابعادها الحضارية والجمالية ليس مجرد مطاردة للحيوان، بل نشاطاً يعبر عن الرجولة والنبل والانسجام مع الطبيعة ،كما يمنح المكان ذاكرة تزخر بالرجال الذين لمعوا في ميادين الصيد والفروسية ،وقال في موضع اخر(الديوان:٩٤) :

قانص الفرصة واعلم أنها كمضي البرق تمضي الفرص

كـم أمـور أمكنـت أمهلها هـي عندي إذ تولت غصـص

بـادر الكنـز الـذي ألفيته وانتهـز صيـداً كبـازٍ يقنـص

سجلت الصورة الرمزية في هذا النص خرقاً لقانون الصورة، إذ تشكلت من خلال رؤية عميقة للنفس الإنسانية المعبرة عن الفقد والحنين ومرور الزمن،استطاع الشعر توظيفها عن طريق مفردات القنص توظيفاً رمزياً ليجعل من مهنة الصيد وسيلة للتعبير عن القهر والفقد والحنين وكيف مر الزمن من خلالها، فالديار التي كانت عامرة بالصيادين والظباء والفرسان أصبحت موحشة، فكان القنص شاهداً على التحول من الامتلاء إلى الخواء،فيستحضر الشاعر مهنة الصيد بوصفها رمزاً للفروسية والبطولة ،إذ يشبه الرجال بالنجوم الزهر في سموهم وقيمتهم،ليتحول القنص هنا من فعل مادي إلى قيمة أخلاقية تدل على الشجاعة والنيل والإقدام.

والناظر لأبيات الشاعر يجد اعتماده على التشبيه والاستعاره، فصور الصيد لابوصفه نشاطاً حسياً فقط، بل تجربة إنسانية عميقة، فالصيد هنا يرمز الى الفرص الضائعة والى غياب الأحبة،مما يمنح الصورة بُعداً نفسياً مؤثراً، متمثلة بألفاظ القنص (صيد ،قانص،ربوع ،نجوم) فهي دلالات تتجاوز معناها المعجمي لتعكس لنا التعلق بالمكان والذاكرة ،وجمالية حس الشاعرالمتميز بأسلوبه الجزل الواضح المنسجم مع الحالة الشعورية التي يعيشها بإيقاع هادئ يتلائم مع نبرة الأسى والحنين ليرسم لنا صورة قنصية جميلة تدخل الى نفس المتلقي ،لينجح الشاعر في تحويل القنص من ممارسة يومية الى رمز أدبي يعكس رؤيته الفلسفية للحياة والوجود.

وقال في موضع اخر(الديوان :١٢٧).

دعوا الرملة الدمثاء عنكم فدونها من المسلمين الصيد كل مخاصم

يتحول القنص هنا الى صورة للصراع والدفاع حيث يشبه الشاعر الخصوم بالصيد ليجعل من المسلمين القانص المتأهب الذي لا يفوت فرصة المواجهة، فيدعوا الى ترك "الرملة الدمثاء" بما توحي به من لين وهدوء وسكينة وخداع ظاهري ، لأن خلفها خطر كامناً يتمثل في قوم يتقنون مهنة الصيد في المواجهة والحسم، وهنا يصبح القنص استعارة عن القوة واليقظة والقدرة على الرد، إذ يعتمد الشاعر على الاستعارة التصريحية في قوله (الصيد كل مخاصم) فيشبه الخصم بالصيد ويحذف المشبه به (الطريدة) والمشبه (الصيد) مما أعطى الصورة قوة ووضوحاً ،ليبرز لنا هيمنة القانص وسيطرته ويعكس تفوق المسلمين في ساحة المواجهة ، ليكون القنص هنا رمزاً للقوة والمهارة ،فالقانص في هذا البيت محترف يعرف متى يبادر ومتى يمسك بزمام الامور ،فيتحول الخصم الى صيد ويتحول القانص الى صورة للقوة والاقتدار مما يمنح النص عمقاً دلالياً يتجاوز الوصف المباشر الى الرؤية الفكرية.

ثانياً: التاجر

التجارة في الشعر الأندلسي لم تكن مجرد مهنة، بل كانت جزءاً من نسيج الحياة يعكس ازدهار الأندلس وحركتها الاقتصادية والاجتماعية؛ حيث ظهرت في أشعارهم وصف الأسواق، الحوانيت، البضائع والحرفيين، مع تصوير تفاصيل البيع والشراء والصراع بين التجار والزبائن، فتناولها الشعراء كجزء من الحياة اليومية والترف، مما يظهر غنى الحياة الأندلسية وتنوعها، سواء في المديح أو الغزل أو الوصف الواقعي،وقد كانت التجارة رائجة في ذلك العصر بين المسلمين والدول المجاورة وغير المجاورة ،ومع محاولة الشعراء الاندلسيين للتجديد بإضافة أغراض شعرية متنوعة وتأثرهم بالبيئة الأندلسية المحيطة، وقال(الديوان:١٥٦):

لقد خاب في تجره ذو ابتياعٍ مهبَّ الرياح بمجرى المياه

يذكر الشاعر مهنة التجارة بوصفها مهنة تحتاج الى عقل راجح وحسن تدبير،ليجعل من الشعر وسيلة لتقويم السلوك الاقتصادي والاخلاقي إذ اعتمد الشاعر على الاستعارة التمثيلية من خلال تشبيه التاجر غير الحكيم بمن يضع تجارت في مهب الريح ومجرى المياه ،وهي صورة تجمع بين عنصرين من عناصر الطبيعة وهما (التقلب وعدم الاستقرار) مما يعمق صورة الخسارة والضياع،فجاء بأسلوب خبري تقريري يعكس طبيعة الشاعر الفكرية والفلسفية ،ليبتعد فيه عن الحكم الانفعالي العاطفي ويميل الى حكمة العقل،مما جعل البيت سلسسلاً سهلاً عذباً ،متوافق الألفاظ (ابتياع–الرياح–المياه) ليعطي البيت ثباتاً وقوة في التأثير،فيرى الشاعر أن التاجر الذي يعمل في تجارته بلا بصيرة ولاحسن تدبير،ويجعلها خاضعة لتقلبات الحظ والظروف ،إنما هو تاجر خسران لايطول الربح ابدا ويجسد ذلك بقوله (لقد خاب في تجرة ذو ابتياع) فهو يحكم حكماً قطعياً بالخسارة ويعد صاحب مهنة التجارة خائب قد سلم أمره لقوة خارجية متقلبة، تشبه تقلب الرياح للمياه وعدم الثبات وهو تصوير دقيق لخطورة الاعتماد على الحظ والمصادفة في العمل التجاري.

ومن خلال ذلك، يقدّم ابن حزم رؤية أندلسية واعية لمهنة التجارة، تقوم على العقل والتخطيط، وضبط الأسباب، لا على الاندفاع أو التقليد الأعمى.

ثالثاً: الجزار

شكّلت المِهَن والحِرَف اليومية في المجتمع الأندلسي مادةً خصبة للشعراء، إذ لم يقتصر اهتمامهم على القصور والملوك والطبيعة الغنّاء، بل امتدّ إلى تفاصيل الحياة الشعبية التي تعكس نبض المجتمع ،ومن بين هذه المهن تبرز مهنة الجِزارة بوصفها حرفةً مرتبطة بالمعاش اليومي، وبالأسواق، وبالطقوس الاجتماعية والدينية، الأمر الذي جعلها تحضر في الشعر الأندلسي حضوراً دالاً، إما على سبيل الوصف، أو الرمز، أو السخرية، أو المقارنة الفنية.

وقد احتلّ الجزار مكانة واضحة في المدن الأندلسية الكبرى مثل قرطبة وإشبيلية وغرناطة، إذ كان السوق فضاءً اجتماعياً مفتوحاً تتقاطع فيه الطبقات واللغات والعادات، إذ ارتبطت مهنة الجِزارة بالقوة الجسدية،

والدقة في القطع، والمعرفة بأجزاء اللحم، فضلاً عن الصلة الوثيقة بالمواسم الدينية والأعياد، هذه الخصائص جعلت الجزار شخصية لافتة في الخيال الشعري، سهلة التوظيف في الصورة والرمز،وقال ابن حزم(الديوان: ١٥٥) :

رأيت الجزري فيما يعانـــي قليل الرشاد كثير السفاه

يبيع ويبتاع عرضاً بعرض أمور وجدك ذاتُ اشتباهِ

يوظف ابن حزم مهنة الجزارة خير توظيف بوصفها رموزاً أخلاقية واجتماعية ،إذ يتخذ منها وسيلة للتعبير عن موقفه من بعض اصحاب المهنة ،فينقدها فيصف البعض منهم بقلة الرشاد وكثرة السفاهة ،فينقد الشاعر نوع من البشر تغلب عليهم القسوة في الطبع فيحول هذه المهنة مرآة نفسية تكشف عن إنحدار القيم ،ثم ينتقل الشاعر من الوصف إلى الحكم الأخلاقي ،فيصور الجزار وكأنه يبيع القيم كما يبيع اللحم، فيستبدل العرض بالعرض بإشارة منه الى اختلاط المعايير وضياع الثوابت وهنا يبرز البعد الرمزي للمهنة ،فالبيع والشراء ليسا تجاريين فقط بل اخلاقيات مما يشير الى انحدار الضمير واهتزاز المروءة ،فجاءت اللغة محملة بالإيحاء فالألفاظ (السفاه،الرشاد،اشتباه) الفاظ اخلاقية يعزز الشاعر فيها طابع الوعظ النقدي للنص،كما ان وضوح الألفاظ جاءت متناسبة مع غرض الهجاء غير المباشر،إذ أعتمد الشاعر على صورة كلية قائمة على التشبية الضمني بين مهنة الجزارة والسلوك الأخلاقي المنحط ،فالذبح والتقطيع يقابلها تمزيق القيم ،والبيع يقابله التفريط بالمبادئ، وهي صورة رمزية عميقة قائمة على التداخل الحسي والمعنوي بإيقاع هادئ يحمل نبرة تقريرية تتناسب مع طبيعة الموضوع ،فيميل النص الى الى نزعة أخلاقية أصلاحية إذ يوظف الشاعر مهنة الجزارة لتجسيد صورة أجتماعية تجمع بين الحس الفلسفي والنبرة الأخلاقية ،لينجح ابن حزم في توظيف مهنة الجزارة توظيفاً فنياً رمزياً،ليحولها من حرفة الى أداة نقد أخلاقي واجتماعي مما يعكس قدرة الشاعر الاندلسي على استثمار تفاصيل الحياة اليومية لصياغة رؤية إنسانية ناقدة.

رابعاً: مهن اخرى

وهناك مهن كثيرة ذكرها الشاعر منها السائق والحارس والصائغ والسكاك وقد ذكرها الشاعر في ديوانه فقال في السائق(الديوان:٨٣):

لهاسائق حادٍ حثيث مبادر إلى غير ما أحضى إليك مدارها

تراد لأمر وهي تطلب غيره وتقصد وجهاً في سواه سفارها

تصوّر الأبيات مهنة السائق بوصفها رمزًا للقيادة والتوجيه،فتبرز صفة السائق(الحدة، والسرعة، والمبادرة) فهو ليس مجرد ناقل، بل قائد يوجّه المسير وهذه الصفات تشير إلى طبيعة المهنة القائمة على الحزم واتخاذ القرار،كما إن مسار المركوب أو القافلة قد يتجه إلى غير ما يرغبه المخاطَب، مما يعكس فكرة أن السائق يمتلك سلطة التوجيه، وقد يحدد المصير دون رضا الآخرين ،فيظهر البعد الرمزي: السائق قد يمثل القدر أو القيادة التي تغيّر الاتجاهات.

ثم يظهر التناقض بين الإرادة والنتيجة؛ فالمسير يُراد له غاية، لكنه ينحرف إلى غاية أخرى، وهذا يعكس رؤية ابن حزم العميقة لحركة الحياة، حيث لا تتطابق النيات دائمًا مع المصائر،(وتقصد وجهًا في سواه سفارها) يؤكد هذا المعنى، إذ إن السفر يتجه إلى غير المقصود، لتتحول مهنة السائق إلى رمز فلسفي: القيادة قد تفضي إلى نتائج غير متوقعة، مما يعكس تأملًا في التوجيه الإنساني والقدر،فالنص يحمل طابعاً يعكس الحركة والانتقال،فالسائق هنا رمز للقيادة والقدر وتوجيه المصيري المفردات(سائق – حاد – حثيث – مدار – تقصد – سفار)وهي ألفاظ تؤسس فضاءً دلاليًا قائمًا على التوجيه والتنقل، فالمقابلة واضحة بين(الإرادة–النتيجة)و(القصد–الانحراف) وهي مقابلة تعمق المعنى التأملي للنص،فالاسلوب جاء خبري يحمل طابع الحكمة وبذلك تتحول مهنة السائق في شعر ابن حزم من وظيفة يومية إلى رمز فلسفي يعكس رؤيته للحياة بوصفها رحلة تُقاد أحيانًا إلى غير ما يُراد لها.

وقال ايضا في السائق(الديوان:١٠٩):

ورب أسير في يد الهول مطلق ومنطلق والدهـر أسـوق سائـق

سفينة نـوح لم تضـق بحلولها وضاق بهم رحب الملا والسمالق

يعرض الشاعر مفارقة لافتة فهناك من يبدو أسيرًا للخوف أو القدر، لكنه في الحقيقة مطلق من الداخل ،وهذه الرؤية تعكس تأملًا في طبيعة المصير الإنساني حيث لا تُقاس الحرية بالظاهر ،فيجعل الدهر نفسه سائقًا يقود المنطلقين وحتى من يبدو حرًّا، تحكمه قوة خفية تسوقه حيث تشاء، وهنا تتحول مهنة السائق إلى رمز كوني، حيث يصبح الزمن هو القائد الأكبر لحركة الإنسان،ثم يستحضر الشاعر مثالًا دينيًا ليعمّق المعنى، فالسفينة كانت ملاذًا للنجاة، ولم تضق بمن فيها رغم شدّة الحدث (وضاق بهم رحب الملا والسَمالق) هنا مقابلة بين الضيق والاتساع، فمع أن الأرض واسعة، ضاقت على الهالكين، وهذا يرسّخ فكرة أن المسير ليس بيد الإنسان وحده، بل تحكمه قيادة أعلى، ثم تأتي الصورة المركبة في مشهد سفينة النجاة مقابل اتساع الأرض فتمنح النص بعدًا حركيًا وتأمليًا في آنٍ واحد،فجاء السائق متعدد الدلالات فهو(الدهروالزمن والقدر والقوة التي تواجه المصير) وهو توظيف رمزي عميق يرفع المهنة من معناها الواقعي إلى أفق فلسفي،فجاء الأسلوب خبريحكمي يغلب عليه التأمل،تتجلى مهنة السائق في هذه الأبيات بوصفها رمزًا يتجاوز معناها الحرفي،أن النجاة أو الهلاك لا يتحدد بالاتساع المكاني، بل بوجهة المسير ومن يقوده.

وهكذا تتحول مهنة السائق عند ابن حزم إلى رؤية فلسفية للحياة، حيث الإنسان مسافر في قافلة الزمن، يُقاد أحيانًا دون أن يدرك وجهته، وتبقى النجاة مرهونة بالسائق الحقيقي لمسار الوجود ،وقال في الحارس(الديوان: ٩٨):

زار الخيال فتى طالت صبابته على احتفاظ من الحراس والحفظة

يوظف ابن حزم مهنو الحراسة توظيفاً فنياً ورمزياً،ليجعل منها حاجزاً واقعياً يتجاوز الخيال ليعكس لنا تجربة وجدانية عاطفية يغلب عليها طابع الغزل العفيف، حيث يصوّر الشاعر حال عاشق طال شوقه،

فجاءه طيف المحبوبة ليلاً، في صورة لم تكن حقيقية بل خيالية، وهذا يدل على طول المعاناة العاطفية وامتداد الشوق، إذ إن الخيال يصبح بديلاً عن اللقاء الواقعي ،ثم تتجلى مهنة الحراسة في قوله (على احتفاظ من الحراس والحفظة) فالمحبوبة محاطة بالحراس، في إشارة إلى العوائق الاجتماعية والأخلاقية التي تحول دون اللقاء المباشر، فالخيال وحده استطاع تجاوز هذه الحراسة القوية) فالشاعر يصور صراعاً بين: رغبة العاشق بالوصال والقيود المفروضة عليه من الحراس،فيعتمد الشاعر على صورة الطيف الزائر، وهي صورة تقليدية لكنها جاءت موظفة بذكاء، إذ جعل الطيف كائناً قادراً على اختراق الحراسة، مما أضفى طابعاً درامياً على المشهد، فلا يذكر الشاعر الحراسة كوظيفة واقعية فقط، بل جعلها رمزاً للمنع الاجتماعي وحاجزاً بين العاشق ومعشوقته.

وهذا توظيف فني يدل على قدرة ابن حزم على إدخال المهن في البناء الشعري دون افتعال ،فلا تأتي المهن وصفاً خارجياً، بل تحمل بعداً رمزياً،فهي ترمز الى الأعراف الاجتماعية والرقابة الأخلاقية، وقد نجح في خلق لوحة شعرية تجمع بين رقة العاطفة وصرامة القيود، مما يعكس حساً فنياً رفيعاً ووعياً بطبيعة المجتمع الأندلسي.

وقال في الصائغ(الديوان:١٢٠):

وإن تصادف صائغاً ماهراً ميز بين المحض والحائل

يفتتح الشاعر البيت بصيغة شرطية توحي بالتعميم، فهو لا يتحدث عن حادثة فردية بل عن حقيقة عامة ،والصائغ هنا ليس مجرد صاحب مهنة، بل نموذج للإنسان الخبير الذي يمتلك القدرة على التمييز ،فيشير إلى مهارة الصائغ في التفريق بين الذهب الخالص (المحض) والمغشوش أو المختلط (الحائل) وهذه إشارة رمزية إلى القدرة على التمييز بين: الحق والباطل والصدق والزيف والنقاء والادعاء،فيحمل البيت حكمة أخلاقية تتجاوز المجال الحرفي إلى المجال الإنساني والفكري،فيعتمد الشاعر على التشبيه الضمني إذ شبّه الخبير في الحياة بالصائغ الماهر دون أداة تشبيه صريحة، فالصورة قائمة على نقل خصائص المهنة إلى المعنى المعنوي.

يحول الشاعر مهنة الصائغ الى رمز فني يدل على :البصيرة والخبرة القادرة على كشف الخفايا، وهذا من سمات شعر ابن حزم الذي يوظف المهن لإيصال مضامينه الفكرية، فيتجلى الجمال الفني في التضاد بين (المحض) الذي يمثل النقاء والصفاء،و(الحائل) الذي يمثل الشوب والاختلاط،فيعمّق البعد البلاغي ويمنح البيت وضوحاً وإيقاعاً ذهنياً قوياً،إذ نجح الشاعر في تحويل مهنة بسيطة إلى رمز عميق يعبر عن فلسفة الحياة، حيث تصبح الخبرة معياراً للتمييز بين الأصالة والزيف.

وقال في السكاك(الديوان:١٢٨):

وضرب يلقي الروم كل مذلة كما ضرب السكي بيض الدراهم

يستحضر الشاعر صورة مهنة السَّكّاك، وهو الذي يسكّ النقود ويطبعها بالضرب على المعدن ،ليجعل ضرب الأعداء مماثلاً لضرب مما يضع البيت في سياق الصراع الحضاري أو العسكري الذي عرفه

العصر الأندلسي،فالسكاك لايضرب عبثاً،بل يضرب ليُنتج شكلاً ثابتاً معترفاً به،فالألفاظ (ضرب،السكاك،الدراهم)تعطي البيت جرساً قوياً يتناسب مع موضوع الحرب والقوة ،فالسكّاك لا يكرر الضرب عبثاً، بل يطبع أثراً لا يُمحى، وكذلك الضربة العسكرية عند الشاعر،وهذا يدل على وعي الشاعر بطبيعة المهن ودلالاتها الرمزية، وقدرته على تحويل الحرفة اليومية إلى صورة بطولية.

يوظف ابن حزم مهنة السكاك توظيفاً فنياً بارعاً، فجعل ضرب الدراهم نموذجاً حسياً لشدّة الضرب في الحرب، وقد نجح في نقل صورة حِرفية إلى فضاء بطولي، فصار السكّ رمزاً للحسم والقوة والثبات، مما يبرز طرافة التصوير وعمق الدلالة في شعره.

المبحث الثالث: المهن السياسية

اولاً : الحاجب

تُعدّ مهنة الحاجب واحدة من أبرز المناصب الإدارية والسياسية في الدولة الأندلسية، وقد اكتسبت أهمية كبيرة نظرًا لاقترانها بالبلاط الأموي وانخراط أصحابها في شؤون الحكم والسلطة وتنظيم العلاقات بين الخليفة والرعية، ولقد انعكس هذا الحضور السياسي الرفيع على الشعر الأندلسي، فغدت شخصية الحاجب رمزًا للقوة والنفوذ، ومجالاً خصبًا للمدائح السياسية ووصف البلاط وهيبة الدولة.

في الشعر الأندلسي، لم تكن مهنة الحاجب مجرد وظيفة إدارية لترتيب دخول الناس على الخليفة، بل تحول إلى منصب سياسي رفيع جداً، ورمز للقوة، ومصدر للإلهام الشعري، حيث أصبح الحاجب حاكم البلاد الفعلي (مثل المنصور بن أبي عامر)، ويُمدح الحاجب لشجاعته وحكمته، وتُذكر قوته وتأثيره في القصائد، وقد تناول الشاعر الأندلسي شخصية الحاجب بما يليق بمكانته فامتدحه بالقوة والحزم والعدل ،فيقول ابن حزم في هذا الموضع مادحاً الحاجب بقوله(الديوان:١٠٢):

بالحاجب المرتجى السامي أرومته إلى هلال الذي بالمعد مطلعه

سما إلـى غاية في المجد ساميـه قتال غاية ما قد كـان يرميـه

يوظف ابن حزم مهنة الحاجب لإبراز نموذج يجمع بين المجد والرفعة،فتعكس الأبيات حضور مهنة الحاجب بوصفه أحد أعمدة الدولة الأندلسية فهو بمنزلة الوسيط بين الخليفة والرعية وهو صاحب نفوذ سياسي،فهو موضع الرجاء وموطن العلو يؤكد ذلك بقوله(المرتجى) مشيراً الى تعلق الآمال بالحاجب، وقوله(السامي) تمنح الحاجب بعداً رفيعاً أخلاقياً وسياسياً، ثم ينتقل الى صورة الهلال فيربط الحاجب بمطلع النور والبداية المشرقة، فظهوره بشارة خير للأمة، ويبرز البعد البطولي للحاجب إذ لايكتفي بالمكانة السياسية بل يتجاوزها الى المجد العسكري،فالفعل (سما) يدل على الارتقاء و(غاية المجد) توحي بالكمال،وقوله(قتال غاية ما قد كان يرميه) تشير الى المجد والكمال والشجاعة القتالية والقدرة على مواجهة الاحداث فهو رجل دولة ومحارب في آن واحد،فتشبيه الحاجب بالهلال هي صورة ضوئية توحي بالنور والهداية ،فجاء النص بأسلوب المدح السياسي بإيقاع متماسك يعتمد على التوازي الصوتي والدلالي ليقدم لنا الشاعر صورة مثالي للحاجب بوصفه قائداً سامياً تتجسد فيه معاني الرجاء والقوة ببناء نص

مدحي غني بالصور الضوئية ودلالات العلو، ليجمع بين البعد السياسي والبطولي ليجعل من مهنة الحاجب رمزاً للقيادة المتكاملة في المجتمع الأندلسي.

ثانياً: الخليفة والوالي

لقد كان للنظام القضائي في الاندلس دور مهم وفعال في جميع ميادين الدولة وتتجسد مهنة الحاكم في الشعر الأندلسي في كونه راعياً للأدب والفن، وشاعراً بارعاً يُوظّف الشعر لخدمة السلطة والمجتمع، ووصف قصوره ومجالس لهوه، والتعبير عن التناقضات الحياتية (السياسة، الحرب، والمُتعة) وكثيراً ما استُخدِم الشعر في المديح، والزهد، والرثاء، والمُناظرة السياسية، وكان الحاكم نفسه شاعراً يُدافع عن نفسه ويُعزز شرعيته، ويظهر في شعر حكام الأندلس تأثير البيئة الأندلسية الغنية بالوصف والجمال في الشعر ،فقال في الخليفة(الديوان:١٠٢):

نعم الشفيع لمن ضاقت مذاهبه لدى الخليفة أسمى من يشفعه

وكل زارع خير عند مضطهد فسوف يحصد ما قد كان يزرعه

يعكس الشاعر من خلال البيتين السابقين تصوراً مثالياً للحاكم العادل الذي يجمع بين الهيبة والإنصاف ،فيجعل من الخليفة ملاذ للمظلومين وأصحاب الحاجات فهو ليس حاكماً متجبراً، بل مقام عدل يقصد عند الضيق ،فيذكر الشاعر الى إن أعظم الشفاعة تكون عند من يملك السلطة والعدل معاً ،فيمنح الخليفة بذلك بُعداً روحياً وأخلاقياً ويجعله رمزاً للإنصاف الإلهي على الأرض، ثم ينتقل الشاعر في البيت الثاني للحديث عن قاعدة أخلاقية عامة تقوم على مبدأ الجزاء العادل فالخليفة العادل هو الذي يحقق هذا الميزان فيجعل الخير مثمراً ولو بعد حين ،فالخليفة رمزاً للحاكم العادل الذي يرد الحقوق.

يميل الشاعر الى أسلوب الحكمة والتقرير ويغلب عليه الطابع الوعظ متمثلة بقول الشاعر(نعم الشفيع ،وسوف يحصد) ليرسم صورة فنية استعارية بتشبيه العمل الصالح بالبذر ،والجزاء بالحصاد،وهي استعارة ممتدة تربط بين عالم الطبيعة والنظام الأخلاقي ليمنح المعنى وضوحاً وعمقاً في آن واحد،بإيقاع متوازن وهادئ يتلائم مع طبيعة الحكمة الشعرية ،ليقدم لنا الشاعر صورة مثالية للخليفة بوصفه حاكماً عادلاً يوازن بين القوة والإنصاف، جاعلاً من سلطته وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية وقد نجح فنياً في توظيف الحكمة والصورة الزراعية ليجعل النص عميق الدلالة قريب من النفس جامعاً بين الفكر الأخلاقي والرؤية السياسية ،وقال في الوالي(الديوان:١١٨) :

كذا همة الوالي تكون رفيعة ويرضى خلاص النفس ان وقع العزل

يمزج الشاعر بين خطاب العاطفة ومهنة الوالي ليصوغ نموذجاً يقوم على السمو والتعفف، فالوالي الحق هو من تسمو همته فوق التعلق بالمنصب ،فإذا غزل رضي بالسلامة النفسية ولم يتشبث بالسلطة فالعزة بالسمو لافي التمسك بالجاه، فالإيقاع هادئ متزن يتلائم مع طبيعة التأمل.

ثالثاً: العسكري والمخبر

الشعر الأندلسي غني بالمهن والمفردات العسكرية بسبب الصراعات المستمرة، حيث برز شعراء المعارك، وتم وصف الفرسان، والقادة العسكريين،والمرابطين والمخبرين وأصناف الجيوش، وأدوات الحرب (كالسيوف والرماح والخيل) بصورة بارزة في أغلب أشعارهم، وتجسدت أدوار مثل المجاهدين والمدافعين عن الثغور، مع ظهور أنواع شعرية عسكرية مثل شعر الجهاد والفتح، كما تم رثاء المدن الساقطة وتخليد البطولات في الشعر، مع تركيز على دور المقاتل العربي وأخلاقيات الحرب، مما يعكس الواقع العسكري للأندلس آنذاك.

وقال في العسكري(الديوان:٧٣):

وقدد تتراءى العسكران لدى الوغى وبينهما للموت سُبلُ بوارِ

يصور الشاعر لحظة لقاء الجيشين في ساحة الوغى فهم في مواجهة مباشرة وقوية ولا مجال للتراجع ،لتتضح مهنة العسكري القائمة على المواجهة والشجاعة فالحرب هي ميدان للفناء لأن الموت حاضر في كل مكان ،وهذا يعكس رؤية واقعية لمهنة العسكري عند ابن حزم،فهي قائمة على الوعي بالمصير المحتوم لمن يقوم بهذه المهنة، فهو إنسان يواجه قدره بوعي وإقدام،إذ تمتزج البطولة بالتسليم بحتمية الموت،فيعتمد البيت على صورة بصرية فكلمة(تتراءى) يمنح المشهد حيوية وكأن اللقاء يحدث أمام عين القارئ ،فيجعل الشاعر من الموت (سبلاً) طرق مختلفة ممتدة بين الفريقين ،مما يعمق الإحساس بالخطر ويكثف جو الرهبة،بمفردات تنتمي الى الحرب(العسكري ،الوغى،الموت،بوار) فالأسلوب خبري يحمل صراع داخلي في لحظة مصيرية صعبة، فمنة العسكري قائمة على المواجهة والشجاعة ترتبط بالوعي بالموت لا الاندفاع الأعمى فالعسكري ليس مجرد مقاتل وحسب وإنما هو صاحب موقف وجودي يرى الموت أمامه ومع ذلك يثبت في الميدان.

وقال في المخبر(الديوان:١٤٤):

بدا كل ما كتمته بين مخبـر وحالٍ ارتنـي قبـح عقدك بينـا

وكم حالةٍ صارت بياناً بحالةٍ كما تُثبت الأحكام بالحبل الزنا

تقوم الأبيات على صورة معنوية أساسها الانتقال من الكتمان إلى الظهور فالمخبر ليس شخصية مرئية فقط بل هو قوة كاشفة تجعل المستور مكشوفاً فالمكان كان مخفياً واصبح ظاهراً بفعل المخبر فيشبه الشاعر انكشاف الأحوال بالإخبار وإثبات الأحكام بالأدلة الشرعية فيمنح الأبيات عمقاً علميا فمهنة المخبر هي أداة لكشف الحقيقة وأزالة الغموض مرتبطة بالقضاء والأحكام،مما يمنحها بعداً أخلاقياً خطيراً، فهي مهنة اظهار الحق ،شريطة أن يقوم على الصدق والدليل.

الخاتمة

- تنوعت المهن في العصر الاندلسي مع تطور الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.
- شكلت المهن لدى الشاعر ظاهرة شعرية واسعة ومتنوعه ومرتبطة بالواقع الذي يعيشه الشاعر الاندلسي.
- يوظف ابن حزم المهن توظيفاً فنياً محاولاً نقل الصور المهنية الى فضاء بطولي .
- نجح الشاعر في تحويل اغلب المهن البسيطة إلى رمز عميق يعبر عن فلسفة الحياة لدى الشاعر.
- نجح الشاعر في خلق لوحة شعرية تجمع بين رقة العاطفة وصرامة المهنة، مما يعكس حساً فنياً رفيعاً ووعياً بطبيعة المجتمع الأندلسي.
- تتحول المهن في شعر ابن حزم من وظيفة يومية إلى رمز فلسفي يعكس رؤيته للحياة.
- نجح ابن حزم في توظيف المهن توظيفاً فنياً رمزياً،ليحولها الى أداة نقد أخلاقي واجتماعي مما يعكس قدرة الشاعر الاندلسي على استثمار تفاصيل الحياة اليومية لصياغة رؤية إنسانية ناقدة.

References

1. Andalusian Literature from the Conquest to the Fall of Granada, Ahmad Haykal, Dar al-Ma'arif, Cairo, 8th edition, 1982.
2. The Literature of Craftsmen and Tradesmen until the Tenth Century AH, 1st edition, Dar al-Fikr, Beirut.
3. The Contribution of Muslim Scholars to the Sciences in Andalusia during the Era of the Taifa Kings, Suha Ba'yun, Dar al-Ma'rifah for Printing and Publishing, Beirut, 1st edition, 2008.
4. Falconry, by al-'Aziz Billah al-Fatimi Abi 'Abd Allah al-Hasan ibn al-Husayn: reviewed and annotated by Muhammad Kurd 'Ali, publisher: Dar Sader, Beirut.
5. Taj al-'Arus min Jawahir al-Qamus, by Muhammad Murtada al-Husayni al-Zabidi (d. 1250 AH/1791 CE), edited by 'Abd al-Fattah al-Hilu, reviewed by Mustafa Hijazi, Kuwait Government Press, Kuwait, 1986.
6. A History of Andalusian Literature During the Era of Cordoba's Supremacy, by Ihsan Abbas, Dar al-Thaqafa, Beirut, 1st ed., 1960.
7. Andalusian History, by Abd al-Rahman Ali al-Hajji, Dar al-Qalam, Damascus, 5th ed., 1997.
8. A History of Education in Andalusia, by Muhammad Abd al-Hamid Issa, Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo, 1st ed., 1982.
9. Deriving the Auditory Evidence of Crafts, Trades, and Legal Professions that Existed in the Time of the Messenger of God, by Ali ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Musa ibn Saud, Abu al-Hasan ibn Dhi al-Wizaratayn al-Khuza'i (d. 789 AH), edited by Ihsan Abbas, published by Dar al-Arab al-Islami, Beirut, 2nd ed., 1419 AH.
10. Jadhwat al-Muqtabis fi Tarikh Ulama al-Andalus (The Spark of the Source in the History of the Scholars of Andalusia), by al-Hamidi, edited by Ibrahim al-Aybari, Dar al-Kitab al-Lubnani, Beirut, 2nd edition, 1983.
11. Diwan Ibn Hazm al-Andalusi (The Collected Poems of Ibn Hazm al-Andalusi), compiled and edited by Abd al-Aziz Ibrahim, Dar Sader, Beirut, 1st edition, 2010.
12. Al-Dhakhira fi Mahasin Ahl al-Jazira (The Treasure of the Virtues of the People of the Peninsula), by Abu al-Hasan al-Shantarini, edited by Ihsan Abbas, Dar al-Thaqafa, Beirut, 1st edition, 1979.
13. Al-Dhayl wa al-Takmila li Kitabay al-Mawsul wa al-Sila (The Supplement and Continuation to the Books of al-Mawsul and al-Sila), by Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Malik al-Ansari, edited by Ihsan Abbas and Muhammad ibn Sharifa, 1st edition, Dar al-Thaqafa, Beirut, 1973.
14. Commentary on Sunan Abi Dawud, by Shihab al-Din Ahmad ibn Ali ibn Raslan al-Maqdisi (d. 844 AH), edited by a number of researchers at Dar al-Falah, under the supervision of Khalid al-Rabat, published by Dar al-Falah for Research and Investigation, Fayoum, Egypt, 1st edition, 2016.
15. Hunting and Chasing Poetry in Mosul: The Urjuza of Uthman Baktash al-Mawsili (d. 1222 AH) as a Model, by Dr. Ahmad Hussein Muhammad, Mosul Studies, Issue 42, Dhu al-Hijjah 1434 AH / October 2013.
16. Hunting and Chasing in Arabic Poetry until the End of the Second Century AH
17. Lisan al-Arab, by Ibn Manzur: Abu al-Fadl Jamal al-Din ibn Mukarram (d. 711 AH - 1311 CE), Dar Ihya al-Turath al-Arabi for Printing, Publishing and Distribution, Beirut, 3rd edition, 1999.
18. Wafayat al-A’yan wa Anba’ al-Zaman, Ibn Khallikan, ed. Ihsan Abbas, Dar al-Thaqafa - Beirut, 1972 AD.